الغلاف

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

رصد لواشنطن، الرياض، طهران وأنقرة حرب غزّة: سباق الدم والسياسة

من المهم رصد المواقف الاقليمية والدولية بازاء ما جرى منذ 7 تشرين الاول 2023 عندما شنت حركة حماس هجومها المدوي على مواقع الاحتلال الاسرائيلي ومستوطناته، لما سيكون لهذه الاحداث والمواقف من تداعيات على الصراع نفسه، وعلى مجمل المشهد الاقليمي في المرحلة المقبلة

في الايام الاولى من الهجوم على غزة لم يكن هناك "لاءات" امام اسرائيل. لم يرفع في وجهها احد اعتراضا، الا في ما ندر. منحت اسرائيل "رخصة للقتل"، خصوصا في الايام الـ15 الاولى، قبل ان يبدأ التململ او الاستياء، وربما الحرج، من حجم الموت والدمار العشوائي الذي تسببت به.

الصدمة التي احدثها هجوم حماس المباغت اكبر من ان تتقبلها بعض الدول الغربية، وخصوصا الولايات المتحدة، التي قال رئيسها جو بايدن خلال زيارته "التضامنية" مع اسرائيل، انه لو لم تكن هناك اسرائيل لوجب علينا ان نخترعها، والتي تهافت قادة من الدول الغربية والاتحاد الاوروبي اليها، من اجل التشديد على ما يعتبرونه "حقها" في الدفاع عن نفسها، متجاهلين خصوصا، في الايام الـ15 الاولى حجم الخسائر البشرية التي الحقتها اسرائيل بقطاع غزة، حيث تخطى عدد الشهداء والجرحى 20 الف انسان.

في المقابل، فان مواقف الدول العربية، بشكل عام، لم ترق الى مستوى الاحداث الخطيرة الجارية، فمثلا لم يعقد اجتماع لوزراء خارجية الجامعة العربية سوى بعد 4 ايام، بينما عقدت "قمة السلام" الدولية - الاقليمية في القاهرة بعد نحو اسبوعين على بدء الحرب، وظهرت فيها التباينات واضحة مع مواقف دول غربية. لكن قمة القاهرة كانت مهمة في ما يتعلق بانها محاولة الالتقاء الاولى على هذا المستوى، للبحث في ايجاد مخرج للحرب.

ومن المهم ابراز مواقف الولايات المتحدة والسعودية وايران وتركيا بازاء الصراع، والتي تعكس تباينات في مواقفها ورؤيتها تجاه القضية الفلسطينية واسرائيل.

لم تتردد واشنطن منذ الساعات الاولى، في التعبير عن دعمها المطلق لاسرائيل، وادانة هجوم حماس، وابداء الاستعداد الكامل لمساندة اسرائيل سياسيا، وعسكريا، وامنيا، وصولا الى استخدام الفيتو (الى جانب بريطانيا)، لمنع محاولة تصويت في مجلس الامن لوقف الحرب، مما اعتبر مثابة ضوء اخضر لحكومة نتنياهو بالمضي قدما في "الانتقام" ضد الفلسطينيين الذين وصفهم وزير الدفاع الاسرائيلي يواف غالانت بانهم "حيوانات"، وامر بقطع المياه والكهرباء والغذاء عن كل غزة.

بالاضافة الى طلبه من الكونغرس تقديم مخصصات امنية ضخمة تقارب 106 مليارات دولار، بينها 14 مليارا لصالح اسرائيل، فان بايدن الذي حط في اسرائيل في 18 تشرين الاول، سارع الى التأكيد على ان "اسرائيل دولة يهودية وديموقراطية، ولو لم تكن في الوجود، لعملنا على اقامتها"، بينما جاهرت وزارة الخارجية الاميركية في اليوم نفسه بالقول ان "الدعوة لوقف اطلاق النار ليست ضمن سياستنا الحالية الرامية الى دعم حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها".

بشكل مواز، اعلن البنتاغون ان وزير الدفاع لويد اوستن وضع حوالى الفي جندي وسلسلة مجموعات بحرية في حالة تأهب قصوى عبر امر استعداد للانتشار، في حين قال المتحدث باسم مجلس الامن القومي ان استعداد واشنطن لنشر قوات اضافية في المنطقة، يتعلق "بارسال اشارة ردع".

رغم اشارة المتحدث باسم مجلس الامن القومي الى انه ليس لدى واشنطن في الوقت الحالي اشارات على ان ايران ضالعة في الحرب، قال "لا نريد ان نرى هذا الصراع يتصاعد ويتسع نطاقه. ليست هناك خطط لارسال قوات اميركية للقتال في اسرائيل".

اما وزير الدفاع اوتسن فقال في 22 تشرين الاول، "ننصح اي بلد او جماعة تريد توسيع الصراع او الاستفادة منه بالا تفعل ذلك".

لكن المعلومات تحدثت عن انخراط اميركي مباشر في الصراع اكبر مما توحي به تصريحات المسؤولين العلانية، ومن ضمنها ارسال حاملتي طائرات مع السفن المرافقة لها قبالة سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر، وتزايد حركة هبوط طائرة الشحن العسكرية التي يعتقد بانها نقلت في الاسبوع الاول من الحرب نحو الف طن من العتاد والاسلحة الى اسرائيل من خلال رحلات يومية. كما تحدثت تقارير عن تزايد حركة الطائرات والعسكرية الاميركية في قواعد في اليونان، وصولا الى الاعلان الاميركي بان سفنها الحربية قد تصدت طوال 9 ساعات لصواريخ بعيدة المدى وطائرات مسيرة اطلقت من جانب قوات حكومة صنعاء التي يقودها انصار الله، وان هذا الهجوم كان يستهدف اسرائيل.

وكرر بايدن ما فعله من قبله بايام وزير خارجيته انطوني بلينكن عندما زار اسرائيل، اذ شارك في اجتماع "الكابينت" الذي يناقش قرارات الحرب، بينما كان الاعلام يسرب انباء عن ان الاميركيين طمأنوا الاسرائيليين بأنهم سيتدخلون في الحرب في حال عمد طرف خارجي، كايران او حزب الله، الى التدخل في الصراع. وقال بلينكن انه "عندما يتعلق الامر بأمن اسرائيل، فاننا سنحميها". ورغم ذلك، قال بايدن بعد اختتام زيارته، "لم نبلغ اسرائيل باننا سندخل الحرب في حالة انضمام حزب الله للصراع".

بن سلمان وبلينكن في الرياض.

> لا "لاءات" امام اسرائيل
>
> بايدن: واجبنا ان نوجد استراتيجيا

صدرت مواقف من الجانب السعودي، وخصوصا من ولي العهد الامير محمد بن سلمان، ووزير الخارجية الامير فيصل الفرحان. بالاضافة الى زيارة بلينكن الى الرياض في 15 تشرين الاول، فان الامير محمد بن سلمان اجرى مشاورات مع زعماء المنطقة، مثل الرئيس التركي رجب طيب اردوغان والرئيس الفلسطيني محمود عباس والملك الاردني عبدالله والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي والرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون ورئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو. كما عقد في مدينة جدة اجتماع وزاري لمنظمة المؤتمر الاسلامي، ثم من بعدها في 20 تشرين الاول قمة دول الخليج ورابطة "اسيان".

في 21 تشرين الاول مثلا، قال الفرحان "نرفض الازدواجية والانتقائية التي يمارسها البعض في المجتمع الدولي"، واعرب عن "خيبة املنا من عجز مجلس الامن من اتخاذ موقف حيال الازمة الحالية". وتابع "نؤكد على تمسك المملكة بالسلام خيارا استراتيجيا، عبر الوقوف مع الشعب الفلسطيني الشقيق لاستعادة حقوقه المشروعة، واقامة دولته المستقلة ذات السيادة على الاراضي الفلسطينية في حدود العام 1967، وفق قرارات الشرعية الدولية، ونؤكد رفضنا القاطع لمحاولات التهجير القسري للفلسطينيين من جانب اسرائيل".

لكن الفرحان قال "نشجب كل استهداف للمدنيين اينما كانوا".

وبينما قالت وكالة "رويترز" في 13 تشرين الاول، ان السعودية "جمدت" خطة التطبيع مع اسرائيل، قال محمد بن سلمان امام قمة الخليج - اسيان "يؤلمنا ما تشهده غزة من عنف متصاعد يدفع ثمنه المدنيون الابرياء، وفي هذا الصدد، نؤكد رفضنا القاطع لاستهداف المدنيين بأي شكل من الاشكال وتحت اي ذريعة، وضرورة وقف العمليات العسكرية ضد المدنيين والبنى التحتية التي تمس حياتهم اليومية، وتهيئة الظروف لعودة الاستقرار وتحقيق السلام الدائم الذي يكفل الوصول الى حل عادل لاقامة دولة فلسطينية وفق حدود 1967، بما يحقق الامن والازدهار للجميع".

وتوقف كثيرون عند الاشارات التي تكررت في المواقف السعودية الرسمية حول التنديد باستهداف "المدنيين" اينما كانوا، واحترام القانون الدولي وحماية المدنيين، وهو موقف كرره الفرحان مثلا عندما استقبل بلينكن في الرياض حيث قال "ان قيمنا ومبادئنا التي يمليها علينا ديننا الاسلامي الحنيف تحرم قتل النفس بغير حق، وترويع الامنين والتعرض للاطفال والنساء والمسنين".

وجرى تثبيت فكرة عدم استهداف المدنيين وغيرها من الافكار اللافتة للانتباه، في البيان الختامي الصادر عن قمة الخليج - اسيان حيث دان المجتمعون"جميع الهجمات ضد المدنيين"، ودعوا جميع اطراف النزاع الى حماية المدنيين والامتناع عن استهدافهم، كما دعوا الى الافراج الفوري وغير المشروط عن الرهائن والمعتقلين المدنيين، وخاصة النساء والاطفال والمرضى وكبار السن.

اللافت ان السعودية اعادت التأكيد على ضرورة احياء عملية السلام في الشرق الاوسط بالتعاون مع مصر والاردن، وحل النزاع بين اسرائيل وجيرانها وفقا للقانون الدولي وجميع قرارات الامم المتحدة ذات العلاقة بهذا الصراع.

وجرى الحديث في بداية الحرب ان هناك تواصلا يجري بين الرياض وطهران وانقرة والقاهرة، للقيام بجهد لاحتواء الموقف، لكن ذلك لم يتمظهر. غير ان تطورا لافتا جرى بين الرياض وطهران عندما اعلن عن اول اتصال هاتفي بين محمد بن سلمان والرئيس الايراني ابراهيم رئيسي، وذلك بمبادرة من الاخير، والذي استمر 45 دقيقة، حيث تناولت المحادثات "الاوضاع في ◄

قمة الخليج اسيان.

◄ غزة ومحيطها وضرورة التنسيق المشترك لوقف التصعيد"، بينما اكد ولي العهد السعودي على موقف المملكة الرافض لاستهداف المدنيين بأي شكل، معربا عن قلقه البالغ من خطورة الاوضاع الانسانية في قطاع غزة والمساس بحياة المدنيين، مؤكدا على موقف المملكة الثابت تجاه مناصرة القضية الفلسطينية.

بالاضافة الى المبادرة الايرانية بالاتصال الهاتفي مع ولي العهد السعودي، وهو الاول منذ اعلان الصين عن اتفاق تطبيع العلاقات بين طهران والرياض في اذار الماضي، فان ايران ظل ينظر اليها باعتبارها احد الاطراف المحورية في الصراع واحتمالاته، اذ انه ليس سرا ان ايران تتمتع بعلاقات قوية مع حركتي حماس والجهاد الاسلامي، وتوفر لهما الدعم والمساندة، مما جعل صحيفة مثل "وول ستريت جورنال" الاميركية تستعجل نشر تقرير ما ان اندلعت الحرب تتحدث فيه عن اجتماع عقد في بيروت اعطى الضوء الاخضر

> **تعادي المفوضية الاوروبية!**
>
> **بلينكن: سنحمي اسرائيل**

للعملية التي نفذتها حماس، وهو اجتماع ضم اعضاء كبارا من حماس وحزب الله في حضور مسؤولين امنيين ايرانيين ساعدوا في التخطيط للهجوم، وذلك قبل نحو 5 ايام من الهجوم.

عموما فان التقرير نال الكثير من الانتقادات والشكوك خصوصا انه ينقل بشكل غريب مثل هذه المعلومات عن "مصادر في حزب الله وحماس"، كما ان واشنطن رفضت حتى الان تبني المعلومات او فكرة انخراط ايران في الصراع.

ورغم ذلك، فان المنطقة شهدت حراكا ايرانيا مستمرا، ما بين الشد والجذب، في محاولة للضغط على اسرائيل وارسال اشارات تهديد متفرقة لايصال رسالة ربما الى الاميركيين الى مخاطر الاستمرار في اطلاق العنان لاسرائيل بهذا الشكل. في الوقت نفسه، فان البعثة الايرانية لدى الامم المتحدة قالت بوضوح في 16 تشرين الاول ان القوات المسلحة الايرانية لن تتدخل عسكريا ما لم تهاجم اسرائيل ايران او مصالحها او مواطنيها.

لكن وزير الخارجية الايراني حسين امير عبداللهيان، هو من تولى بشكل اساسي اطلاق الرسائل المتفرقة، وتوجه الى اسرائيل والولايات المتحدة قائلا ان "المنطقة اصبحت كبرميل بارود نتيجة الحرب، وان كل الاحتمالات واردة اذا لم تتوقف جرائم اسرائيل في غزة". لكنه بعد مرور اسبوعين تقريبا على الحرب، كشف ان طهران تلقت رسالتين من واشنطن بانها لا تنوي توسيع دائرة الحرب، وتطالب طهران بضبط النفس، مضيفا ان ايران لا تسعى لتوسيع دائرة الحرب في المنطقة، الا ان الاستمرار

في قتل النساء والاطفال ستؤدي الى نفاد صبر قوات المقاومة وشعوب المنطقة.

المرشد الايراني السيد علي خامنئي كان له كلمته ايضا والتي حاول فيها تلخيص في ما جرى في 7 تشرين الاول، عندما قال "كيف يجب ان يكون رد فعل الشعب الفلسطيني على هذا الظلم كله؟ طبعا سوف يفجر الطوفان. فعندما يتجاوز الظلم والاجرام الحدود، وعندما تصل الوحشية الى منتهاها، لا بد من انتظار الطوفان".

وفي رد واضح على التقارير (والاتهامات الاسرائيلية تحديدا) حول الدور الايراني المباشر في الحرب، قال السيد خامنئي في 11 تشرين الاول، ان "مَن يقولون ان الملحمة الاخيرة سببها غير الفلسطينيين، لم يعرفوا الشعب الفلسطيني".

وفيما يمثل رسالة ضمنية موجهة الى الولايات المتحدة تحديدا، وغيرها من القوى المؤيدة لاسرائيل، قال السيد خامنئي ايضا في 19 تشرين الاول، انه "اذا استمرت جرائم الكيان الصهيوني فلن يستطيع احد ايقاف المسلمين وقوى المقاومة".

لاحظ العديد من المراقبين ان موقف تركيا من الحرب التي اندلعت في 7 تشرين الاول، كان اقل حدة مقارنة بالاعتداءات الاسرائيلية على الفلسطينيين في السنوات الماضية، علما ان انقرة استعادت علاقاتها الديبلوماسية الكاملة مع اسرائيل في آب 2022. ولاحظ كثيرون ان الخارجية التركية مثلا لم تعمد الى استدعاء السفير الاسرائيلي للاحتجاج على الوحشية الاسرائيلية في هجماتها. كما ان موقع "المونيتور" الاميركي قال ان انقرة طردت فعليا قادة حماس من اراضيها عندما تم ابلاغهم في الساعات الاولى من بداية الحرب، ان السلطات التركية ليس في مقدورها توفير الحماية لهم من اعتداء اسرائيلي محتمل ضدهم، وهو ما يعني دفعهم الى المغادرة.

> **الرياض "تجمد" التطبيع**
>
> **رفض سعودي لـ"استهداف المدنيين"**

فيدان خلال زيارته لبيروت.

وبكل الاحوال، فان اردوغان بحث في 24 تشرين الاول مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين "الوحشية تجاه الاراضي الفلسطينية المتزايدة، وصمت الدول الغربية، ما نقل الازمة الى مستوى لا يمكن السيطرة عليه".

في 18 تشرين الاول، انتقد اردوغان الموقف الاميركي ضمنيا عندما قال ان "جهود ضمان السلام تعطلت بسبب خطوات كارسال حاملات طائرات للمنطقة وقطع المساعدات وعقاب سكان غزة بالجملة، وانه يجب انقاذ المنطقة من الجنون الذي تدعمه دول غربية ووسائل اعلام، ونجدد مطالبتنا الحكومة الاسرائيلية بوقف عملياتها التي تصل حد التطهير العرقي".

من جهته، فان فيدان، وزير الخارجية، قال خلال زيارته الى بيروت ان انقرة تواصل جهودها على مسارين، هما: منع توسع الحرب، وضرورة ايصال المساعدات الى غزة بسرعة، مقترحا تاسيس الية وساطة بين اسرائيل وفلسطين من دول ضامنة - بينها تركيا - لايجاد مخرج للازمة. لكن اكد على موقف تركي تكرر خلال الاسبوعين الماضيين، ومفاده انه من غير المقبول ان تقصف اسرائيل غزة بطريقة غير مسبوقة، وتتسبب باستشهاد اعداد كبيرة من المدنيين، وتحكم على القطاع بالفقر والجوع من خلال قطع الكهرباء والمياه والوقود.

وكان اردوغان لفت الى اقتراح الوساطة ايضا في 16 تشرين الاول، عندما قال ان "الانحياز الاعمى لجهة معينة لن يؤدي الا الى تعميق الازمة". وختم قائلا "نحن في تركيا مستعدون لبذل كل ما يقع علينا من مسؤولية بما في ذلك الوساطة والتحكيم العادل من اجل اخراج منطقتنا من هذه الدوامة التي دخلتها، في اسرع وقت ممكن".

كما ان اردوغان عرض في 10 تشرين الاول وساطة تركيا عندما قال "نحن في تركيا نريد ان نؤكد للجميع اننا جاهزون لأي نوع من الوساطة بما في ذلك تبادل الاسرى، في حال طلبت الاطراف منا ذلك".